

خطباء إن أبغ الخطابة يرتقوا ... كفي كفي لندفاتر منبر
 كم قد بنوت بها الرجال وإنما ... عقل الفتي بكتاب عنم يسير
 كم قد هزمت بها جنيساً مبرماً ... لا يستطيع له كاهزيمة عسكر
 وهو ينظر بقوله الأخير إلى جواب جالينوس فقد قيل له: لم كان الرجل الثقيل أثقل من
 الحمل الثقيل فقال لأن ثقنه على القنب دون الجوارح، والحمل الثقيل يستعين القنب
 بالجوارح عليه.

وفي ذلك المعنى الذي أشار إليه ابن طباطبا وهو في مصر قول لمونكيو (ابن خندون
 فرنسا) وهو في باريس قال ما ترجمته: ما حل بي جيش المهوم إلا بددته بساعة واحدة من
 القراءة.

ومدح الكتب للعرب كثيراً جداً اكتفى منه بكنية واحدة منثورة: أهدي بعض الكتاب
 إلى صديق له دفترًا وكتب إليه: هديتي هذه أعزك الله تزكو على الإنفاق وتربر على
 الكد. لا تفسدها العواري ولا تخفها كثرة الثليب. وهي أنس في الليل والنهار والسفر
 والحضرة وتصلح للندى والأخرة. وتؤنس في الخنوة وتمتع في الوحدة. مسامرة مطواع
 ونديم صديق.

وقال آخر: الكتب بساتين العناء.

ولكن كل هذه الأقوال وما شابهها مما نرويه عن المتقدمين والمتأخرين لا تعادل الكتب
 التي قلنا فرعون مصر عن الكتب.

شفاء الأرواح.

ولقد قام رجل من مشاهير الإنكليز في أوائل القرن التاسع عشر وهو بلور لينون فأشار
 عطالة الكتب لإزالة أنواع لأمراض قال ما خلاصته: لقد اختنح في ضجري أن أنظم
 دور الكتب على نسق جديد مفيد فبدلاً من أن يكون مكتوباً على الخزائن والدواليب
 والرفوف هذه الكلمات. لغة. علوم طبيعية. فن التقرير ونحو ذلك أشير باستبدال هذه
 الكلمات بأسماء الأمراض التي تتأثر الجسم والروح مما يمكن مداواته بالمؤلفات الموجودة
 فيها من داء القطة إلى أخف العزلات فهذا النوع الأخير من الأسقام يصح له قراءة
 الكتب الهزلية مع منقوع الشعير في قليل من اللبن الحليب فإذا غشي النفس هم من
 المهوم التي يمكن إزالتها مثل عدم تحقيق الأمان أو معاكسة الأخوان أو معاندة الزمان
 ففي هذه الحال يحسن بالمصاب أن يتلو تراجم العيان والأفراد فيسنى بما أصابهم من
 البلاء ويزول مرضه بإذن الله. فإذا ما طم المم وعم الغم فالروايات أنجع دواء لهذا
 السقم. ولكن إذا حنت بالإنسان مصيبة فادحة وجب عليه أن يستغرق كل عقده ولبه
 وقبه في عمل من الأعمال العقلية التي تجمعته ينسى نفسه وما حل به من الأرزاء.

واستشهد المستنبط لهذا الطب الجديد الغريب بما حل بشاعر الألمان (جيت) فإنه حينما
 مات ولده تفرغ لدراسة علم جديد وقيل أنه أكمل فصول بعض رواياته البليغة فجاءت
 في نهاية البلاغة والإعجاز.

فانظروا إلى ما صنعه الإسكندر الأكبر عندما هزم دارا ملك الفرس فإنه ظفر في جنة
 الغنائم المنوكية بصندوق بديع الصنعة فقال للتقريين إليه: لأي شيء يصح هذا
 الصندوق؟ فأجاب كل منهم بما رآه. ولكن سيد الفاتحين لم يعجبه قولهم وقال إنما يليق
 هذا الصندوق لحفظ إلياذة أو ميروس.

وفي أيام الإسلام ظفر الحجاج بن يوسف عمل بني مروان بصندوق عجيب من ذخائر
الفرس فأمر بفتحه فوجد صندوقاً آخر ففتحوا فوجدوا صندوقاً آخر ثم رابعاً وخامساً
وسادساً وسابعاً فقال الأمير: لعل فيه حماقة من حماقات الفرس. ففتحوا وإذا فيه بطاقة
مكتوب عليها هذه العبارة: من مشط لحيتي في كل يوم طالت: ونحن لم نخرج عن هذا
الموضوع لأن هذه الوصية كانت مكتوبة على قطعة من الحرير وإنني أقلب الطرف يميناً
وشمالاً فلا أجد من أوصيه بما ليخيرنا بصحتها يعد العمل بها.

ولا يخفى عليكم أن عرب الشرق هم الذين أحيوا علوم العرب ونشروها وما هم عجم
الغرب يعملون على هذه السنة الآن في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا وهولاندا وإسبانيا
والروسيا وسائر بلاد أوربا وأميركا ولا أمل لي إلا أن أرى أهل مصر يشاركونهم فيهم
أحق بتراث أجدادهم ولا يكون ذلك ولن يكون إلا بالعناية بالكتب.

هل أتاكم حديث فرنسا وناهيكم بما في العلم والحضارة والعرفان؟

إنها مدينة لمصر الإسلامية بدينين عظيمين في إنشاء دور الكتب العمومية.

أولهما يرجع إلى أيام الحروب الصليبية. فإن الملك القديس لويس وهو التاسع بهذا الاسم
شن الغارة على مصر في أول دولة المماليك البحرية ثم عاد أدراجه مهزوماً ولكنه رجع
ظافراً بفكرة حميدة ومأثرة حميلة. وهي أن اقتبس عن أجدادنا فكرة جمع الكتب بعضها
مع بعض في دار واحدة وفتحها في وجه الجمهور لينتفع بها الخاصة والعامة.

اترك الكلام لكاتب سيرته وإمامه في صلواته فقد قال ما خلاصته:

إن الملك الورع التقي لويس وصل إلى سمعه وهو قساً وراء البحار أن سلطاناً من سلاطين
الشرقيين يذل عنايته في البحث عن الكتب المختلفة الأنواع وفي استنساخها على نفقته

ثم يضعها في دار عمومية ليستفيد من مراجعتها علماء بلاده فإنه كان يجعل هذه الجامع تحت تصرف جميع الطالبين. فأراد القديس لويس أن يتشبه بهذا السلطان وعزم على بذل المال بمجرد عودته إلى فرنسة لنسخ الأسفار النافعة وصحاح الكتب المقدس التي يتألف له العزور عليها في الأديار ليتمكن هو ورعاياه العاكفون على علوم الأدب من درسها وحرثها للانتفاع بها وأفاد الجار والقريب بمعارفهم وقد أنجز هذا القصد فأمر بإعداد مكان لائق أمين في باريس جمع فيه كثيراً من تصانيف القديس أغسطينوس وأميرواز وجيروم وغريغوار وبقية أئمة المذهب الأرثوذكسي. وكان يذهب في أوقات الفراغ للقراءة في هذا المكان ويسمح لغيره عن طيبة خاطر بمشاركته في مناقشة المؤلفين. وكان يؤثر استنساخ الكتب على شراء أصولها لأن ذلك في رأيه من شأنه أن يزيد في عدد الكتب المقدسة ويجعلها أكثر فائدة. وكان حينما يقرأ في تلك الكتب يحضر من خدمه وحشمه الذين لا يفهمون اللاتينية يترجم لهم بالإفرنسية ما لا يدركونه من العبارات. غير أنه في آخر عمره أصابه دخل في عقله فبدد شمل تلك المجموعة وأمر في وصيته بتوزيع الباقي على الأديار.

وأما الدين الثاني الذي لنا على فرنسا فيرجع إلى عهد قريب منا وبيان ذلك أن القائد بونابرت عند هجمته على مصر في فجر القرن الماضي على التاريخ الميلادي هب كثيراً من بقايا الكتب النفيسة التي كان أجدادنا أخفوها أو وجدوها بعد الفتح العثماني. وكل من ذهب إلى باريس واطلع على فهرس دار الكتب الأهلية فيها يأخذ العجب والعجاب إن لم تساوره الأشجان والأحزان. فلقد أصبحنا إذا احببنا إلى شيء من مؤلفات

المصريين الخاصة بمصر لا نرى منها شيئاً في بلادنا ولا بد لنا من الرحنة والغرب لتطبيعها في بلاد الغرب.

ولقد أدرك محمد عني ذلك عندما أراد أن يجدد العلم في ربوع مصر فأرسل نفرأ من نابغي الأزهر الشريف فعادوا وأفادوا جدد الله عهدهم. ورافع رايتهم هو المرحوم رفاعة بنك فطالما أنشأ وأنشد وصنف وألف وترجم وعرب وكلنا عيال عليه وعلى أولاده. اعنوا أن للغرب والإسلام سرأ عجيباً في تاريخ الحضارة والعمران. فالعرب أينما حلوا انتشرت لغتهم قليلاً قليلاً ثم سادت رويداً رويداً ثم انتهت أمرها بالانفراد والاستقلال. كذلك الإسلام أينما انتشرت رايته استهوى العقول والألباب. ولكن الغريب أن العجم هم الذين ينشرون علوم العرب ودين العرب حتى لقد قال الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك: عجبت لهذه الأعاجم ملكت الدهر فلم تحتج إلى العرب ومنكت العرب فلم تستغن عنهم. وماذا كان يقول هذا الخليفة ودولته أموية عربية محضة: وماذا كان يقول لو عاش حتى رأى عصر العباسيين أو لو بعثت من قبره هذه الأيام ورأى حاجة العرب إلى الأعاجم في كل شيء من مرافق الحياة وحاجتهم إليهم حتى في إحياء آثارهم والتهاافت على اقتناء مآثرهم.

ماذا كان يقول لو علم بالقصة الآتية؟

تعلنون أن التار هم الذين خربوا دولة العرب ودكوا معالم الإسلام ومع ذلك فمن أغرب الغرائب وأعجب العجائب أقام ما لبثوا أن دانوا بدين العرب المغلوبين وتشبهوا بمنوكهم الباتدين في إحياء العلوم وتوسيع نطاق العمران. سر من أسرار الطبيعة لا نراه إلا في شؤون العرب ومعارفهم. فبعد أن هنك هولاءكو وبعد أن مارت الأرض تيسور

فأدخلته في تامورها جاء أحفادهما فدخنوا في دين الله أفواجاً وأقوامهم وارتفع بهم مناره في بلاد آسيا

الومطى وفي بلاد الهند إلى أوائل الجيل الماضي ومن أشهرهم في العنم والعنماء الغ بنك واسمه محمد بن شاهر روح اعنى هذا الرجل بعلم الفلك وألف فيه زيجاً باللغة الفارسية ترجمه إلى العربية بعض أفاضل المصريين والترجمة في خزيني مصر وجمع هذا الرجل خزانة من الكتب النفيسة رأيت بعض بقاياها كتاب الصور السنائية لعبد الرحمن بن عمر بن محمد بن ابن سهل الصوفي ويسى بأبي الحسين ويعرف بكتاب صور الكواكب وبكتاب الكواكب الثابتة وهو الذي أريد أن أحدثكم عنه في هذه الساعة.

هذا الكتاب لا أبالغ في فضله ولا اذكر شيئاً من محاسنه وإنما أقول لكم أن الروس عرفوا قدره فطبعوه في بلادهم ثم أوعزوا إلى أحد علماء الفرنسيين فترجمه إلى اللغة الفرنسية وطبعوا هذه الترجمة أيضاً في بطرسبرج. وهذا الصنيع المزدوج يدلكم على فضل الكتاب وفائدته. وإذا بحثتم في ارض مصر من الشلالات إلى الأشاتيم ومن بادية العرب إلى صحراء ليبيا لا تجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية أما الأصل العربي فقد لبس طاقة الاختفاء وتطأير في الفضاء وهجر ديارنا وواصل غيرنا فيما وراء البحار ورحل عن أرض أهين بها إلى بلاد ظهرت قيته بين أنها بحيث أن العرب الذين صدر الكتاب بنعتهم إذا احتاجوا الآن لمراجعته وجب عليهم أن يتلقنوا إحدى الفرنسية أو الفارسية أو أن يذهبوا إلى بطرسبرج وأن استبعدوها فإلى باريس وهنالك تجدون منه خمس نسخ استغفر الله بل مستاً لأن السادسة هي التي سأتكم عليها. ففي سنة ١٨٩١ عثر يوسف بن خللاط على نسخة ملكية من هذا

الكتاب مكتوبة على ورق الحرير بألوان مختلفة بالنسخ والثلث وقد بلغ الكتاب فيها نهاية الإجادة والإتقان وازدانت بصور ملونة باهية زاهية يتدفق فيها الذهب واللازورد على أحسن شكل وأجمل مثال.

وفوق هذه المزايا التي تجعل للنسخة قيمة يتنافس فيها المتنافسون وبتعشقها العارفون فإنها حوت أثراً آخر يزيد لها قيمة لأهل الدراية. ولكن أين هم في ديارنا. . . وذلك أنها مكتوبة برسم خزانة الملك العالم المؤلف (الع بك) وعليها اسمه بخطه فصارت بذلك نادرة النوادر وذخيرة الذخائر.

عرضها يوسف بك على دار الكتب الخديوية فقومتها إني لأستحي من ذكر القيمة. . . . ولكن أقولها لكم لتعلموا مقدار تفريطنا. قومتها بخمسة عشر جنيهاً مصرياً. وظننت أن ذلك شيء كثير. وكيف لا وهذا المبلغ يساوي النصف والألف من القروش أو خمسة عشر ألف منيم: توجه صاحب الجوهرة إلى الغزي مختار باشا فزاده الربع. توجه إلى الإرسالية العنينة الفرنسية بالقاهرة القائمة الآن بجوار دار ناظر المعارف الحالي فصاعت له الشئ أربع مرات ووعدته فوق هذه المساومة بوسام الخجع العنيني الفرنسي. فقبض الشانين جنيهاً ولا أدري إذا كان أحرز النشان ولكنه اشترط أن يكتب اسمه بينانه على تلك النسخة فقبل القوم شرطه وأرسل الكتاب إلى باريس تكيلاً لنصف الدسطة وأصبحت نسخة ستة.

روى صاحب قاب الفهرست أن أبا زكريا يحيى بن عدي النصراني المتوفى ببغداد سنة ٣٦٤ قال أنه رأى في تركة إبراهيم بن عبد الله الناقل النصراني كتاب السماع الطيبي كنه لأرسطو مشروحاً بقلم الإسكندر الأفروديسي وعندي قطعة وافرة من كتاب

البرهان) وأنها عرضا عليه بمائة دينار وعشرين دينارا فضى يمثال في الدنانير ثم عاد فأصاب القوم قد باعوا الشرحين في جملة الكتب على رجل خرساني (أعجني من الفرس) بثلاثة آلاف دينار وكانت هذه الكتب مما يحمل في الكم.

قال القاضي الأكرم الوزير القفطي المصري بهذه المناسبة في كتابه المترجم بتراجم الحكماء المطبوع في ليكن من أعمال ألمانيا ما نصه:

فانظر إلى همة الناس في تحصيل العنوم والاجتهاد في حفظها والله لو حضرت هذه الكتب المشار إليها في زمننا هذا وعرضت علي مدعي عليها ما أدوا فيها عشر معشار ما ذكر وما كان يقول لو سمع الحكاية التي رويتها لكم عن كتاب الصوفي. نعم إن الخرساني اشترى الكتب بثلاثين ضعفاً وأما الفرنسيين اشترى كتاب الصوفي بأربعة أضعاف لأنهم لم يجلوا في مصر من يزاحهم كما جرى في بغداد.

وأقول لكم أن يحيى بن عدي النصراني المذكور كان من أكابر المؤلفين والمترجمين ومحققى الفلاسفة وكان من المفرمين بجمع الكتب ونسخها بيده وكان أروحد دهره ومذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية. رآه ابن النديم في سوق الوراقين فعاتبه على كثرة نسخه فقال: من أي تعجب في هذا الوقت. من صري؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير لنطري وجملتها إلى منوك الأطراف وقد كتبت من كتب المتكئين ما لا يحصى ولعهدي بنفسى وأنا أكتب في اليوم واليلة مائة ورقة.

ولنن نعلم أن النويري المصري صاحب كتاب نهاية الرب في فنون الأدب كان من يكتب في اليوم واليلة ثلاثة كراريس أي ستين ورقة. فتم يبلغ شأو هذا المتقدم مع أن جميع

المؤرخين يعجبون بآبن وطننا الذين سترون أثره الجامع لكل العلوم والمعارف في السنة المقبلة إن شاء الله.

كل هذه الأعمال وهي قطرة من بحر تدلكم على مقدار الغرام بالكتب وأنه إذا استولى على العقل فلا يجد المدنف العاشق لذة في شيء آخر. وهذا الغرام ليس قاصراً على الشرق أو على الغرب بل هو داء مستحكم في نفوس الناس على اختلاف الأوطان والأديان والأجناس.

نرجع إلى ذكر السرفات في الكتب وأروي لكم حادثتين وقعت إحداهما لرجل من أفاضل الإسكندرية وكان لثانية شأن كبير بالجامع الأزهر في القاهرة.

فمن الرجال الذين يحق للإسكندرية أن تفتخر بأها أنجبهم أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندري الحوي الجغرافي ألف كتاباً فيما اختلف وانتف من أسماء البقاع وقد ضبطه وافق في تحصيله وتحقيقه عمره فأحسن فيه كل الإحسان فجاء أبو بكر زين الدين محمد بن موسى الهنداني المشهور بالحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ فسطا عليه برمته وادعاه واستجمل الرواة فرواد نبه على ذلك ياقوت الحوي في صدر معجم البندان بقوله: ولقد كنت عند وقوفي على كتابه أرفع قدره من عنده وأرى أن مرماه يقصر على سهه إلى أن كشف الله من خبته ومحض الخض عن زبدته أقول أنه رغماً عن التيه ما زال الكتاب مشهوراً باسم السارق فإن صاحب كشف الظنون لم يذكر غيره وسماه كتاب ما اتفق لفظه واختلف مساه في الأماكن والبندان المشبهة في الخط. وعلى كل حال فالكتاب لم يصل إلينا.

وأما الحادثة الثانية فقد وقعت في القاهرة في ختام القرن التاسع للهجرة. وذلك أن الإمام شهاب الدين أبا العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣ ألف في السيرة النبوية كتبه المشهور المتداول بيننا الآن وهو المواهب اللدنية بالمنح المحمدية فما راعه بعد أن فرغ تبييضه في سنة ٨٩٩ إلا وقد رفع جلال الدين السيوطي دعوى عليه أمام شيخ الإسلام زكريا الأنصاري. وهاك بعض ما ورد في صحيفة الدعوى إنه يسرق من كتبه ويمتد منها وينسب النقل إلى نفسه طالبه شيخ الإسلام ببيان ما ادعاه. فقال أنه تنقل عن البيهقي وله عدة مؤلفات فيذكر أنه نقله عنه. ولكنه رأى ذلك في مؤلفاتي فنقله فكان الواجب عليه أن يقول نقل السيوطي عنه.

ماذا كانت النتيجة؟ انظروا واعجبوا.

صدر الحكم على القسطلاني بالترضية اللازمة للسيوطي وإزالة ما في خاطره.

كيف كان التنفيذ؟

مشى القسطلاني من القاهرة إلى الروضة (جزيرة النيل) وكان السيوطي معتزلاً عن الناس بها فوصل إلى بابه ودقه فقبل له من أنت؟ فقال أنا القسطلاني جئت إليك حافياً ليطيب خاطرك. قال له: قد طاب. ولم يفتح له.

فأين آين ذلك الزمان مما نحن فيه الآن؟ أفأرى لو رفع الجني عليهم قضاياهم من هذا القبيل على السارقين الذين فاقوا القسطلاني قولوا لي بربكم هل كانت تكفينا المحاكم الشرعية والبطريكية والأهلية والمختلطة والقنصلية ولجنات النفي الإداري؟

لعبري أن تجار الأحذية كانوا يفلسون كلهم في يوم واحد لو اقتدى السراق بما فعله القسطلاني!! ولكن التبجح وانتهاك الحرمات وصر في زماننا إلى درجة لا مزيد لها خصوصاً وإن انتشار الطباعة ساعد على نحو هذا الطبع.

وتلك الصناعة قد كان لها أصل عند العرب في مصر والأندلس وإن كان الأثر الناطق بذلك قد ذهب من بلادنا ولكن الإفرنج حفظوه لنا أثابهم الله عنا خير الثواب ووقفنا إلى اقتضاء خطواتهم في النافع بدلاً من قالكنا على تقاليدهم في كل ضار.

أخبرني الأستاذ الفاضل حقي بك ناصف أنه رأى خشبة محفوظة بمكتبة ويانا عاصمة النمسا في جملة ما ازدانت به من آثار العرب وثمر عقولهم وهذه الخشبة منقوشة عليها بالتجويد كتابة عربية مقلوبة على الطريقة المأكوفة في اصطناع الأختام وأما كانت مصنعة لطبع الأوامر العسكرية وتوزيعها على الجنود كما هو الشأن في أيامنا هذه في الغارزة العسكرية وذلك يستفاد من العبارة المنقوشة عليها وهذه الخشبة يرجع عهدها إلى الفواطم وربما نشر صورها عن قريب بعض علماء المشرقين فتكون برهاناً على تولد هذا الفن بديار مصر.

وأما الأندلس فقد ترقى إلى ما وراء هذه الخطوة الأولى فقد كان للأندلس في هذا الباب ثلاث خطوات.

الأولى أنهم قلدوا مصر في عهد الفواطم ولكن أثرهم لا زال باقياً في ديارهم وهما أنا أطرفكم بصورة فتوغرافية منه كهدية للعهد السعيد وهي صورة الطابع الذي كان يستعمله أهل الأندلس في مدينة المرية عثروا عليه في أطلالها وخرائبها وهو مصنوع من الخشب والكتابة التي عليه تدل على أنه كان مستعملاً في قيسارية المرية ولفظة قيسارية

تدل على السوق ولا تزال مستعملة بهذا المعنى في القاهرة وفي كثير من مدائن الشرق وأصلها مشتق من اسم قيصر كما أنه اسم موضوع للدلالة على مدائن كثيرة بآسيا الصغرى منسوبة إلى قيصر ورشك أن هذا الطابع كان مستعملاً بصفة الدفعة (التسعة) التي كانت مستعملة في مصر إلى عهد قريب لوضعها على الأقنعة الزعابيط في نظير تأدية الرسوم المطلوبة لخزينة الحكومة.

كذلك كان ذلك الطابع يوضع على الأقنعة والطرود التي يجب دفع الرسوم عليها قبل دخولها إلى السوق أي القيسارية في تلك المدينة مدينة المرية كما يستفاد من الكائنات المكتوبة فيه وهي: طابع قيسارية المرية عام خمسين وسبعائة.

وأما الخطوة الثانية فهي أن الإشراف على دار الطباعة كان من خطط الدولة. بذلك على ذلك النص العربي الذي نبه إليه العلامة جايانجوس الإسباني وهذا النص وارد في كتاب (الحلل السيرا) لابن البار الأندلسي المشهور وقد طبع العرمة دوزي الهولاندي قطعة وافرة من هذا الكتاب الثمين في مدينة ليدن من سنة ١٨٤٧ إلى ١٨٥١. وأنتم تعلمون أن الأبار هو الذي أرسله صاحب الأندلس ليتجد بصاحب تونس. وهو ذلك الرسول الذي وقف بحضرة منك تونس وأنشده تلك القصيدة الطنانة الرنانة التي تستفز الجبان وينين لها قلب الجهاد. قال في مطلعها:

أدرك بحينك خيل الله أندلساً ... إن السبيل إلى مناجاتها درسا

وحل الشاهد أن ابن الأبار يقول في كتابه المذكور أن عبد الرحمن الناصر الخليفة الأكبر (ولي بدر بن أحمد الوزارة الحجابية والقيادة والخيل والبردوكان يتفرد (أي بدر) بالولايات

فتكتب السجلات في داره ثم يبعثها للطابع فتطبع وتخرج إليه فبعث العمال وينفذون على يديه. نعم إن هذا النص سقيم ويحتاج إلى تقويم ولا بد من مراجعة الأصل وتقويته بنصوص أخرى. وربما كان المراد وضع الطابع عليها. ولكن هذا الغرض بعيد لأن الطابع على ما نفهم لا يصح وجوده بيد غير الوزير كمن هو معهود في الدول الإسلامية حتى إلى الآن في الباب العالي. والأظهر أن ذلك يشير إلى إخراج نسخ متعددة من مطبعة حجرية لتبلغها إلى أهل الولايات ورؤوس الواحات.

أما الخطوة الثالثة النهائية فننا عليها دليل مما أورد لساد الدين ابن الخطيب في كتابه المترجم بالإحاطة في أخبار غرناطة قال في ترجمة الشيخ أبي بكر القدسي ما نصه:
وَأَلَّفَ كتاب الدرة المكنونة في محاسن أسطونة وألف تأليفاً حسناً في ترحيل الشمس ومتوسطات البحر ومعرفة الأوقات بالأقدام ونظم أرجوزة في شرح ملاحن ابن دويدار وأرجوزة في شرح كتاب الفصح ورفع الوزير الحكيم كتاباً في الخواص وصنعه الأمددة وآلة طبع الكتاب غريب في معناه).

هذه العبارة اكتشفها اثنان من علماء الإفرنج تمكنا منها بشرح طويل في جرنال آسيا سنة ١٨٥٢ فأنتم ترون فضل عجم أوروبا في البحث والتقيب عن مآثر العرب. نعم إنهما أرادا تصحيح العبارة العربية من حيث استقامة الكلام وتصورا أن فيها بعض الالتباس والإبهام. فأخذ أحدهما يصحح الجملة الأخيرة بما ليس له محل من الإعراب فقال (كتاب باقي خواص وصنعة آلة طبع الكتب كتاباً غريباً في معناه) ولا يصح لنا أن نقرأ بهم بسبب هذا التصحيح العليل السقيم وما فاتته من الأعراض أما الجوهر هو أنها اكتشفا هذا البرهان الدال على أن هذه الصناعة وجدت في أيام العرب ولو من باب

النظريات العننية إذ لم تجد لها لآناً أثراً عنياً محسوساً ومن المعلوم أن الأمددة (جمع مداد) تحتاج لتركيب مخصوص لكي تخرج منها نسخ متعددة فلذلك كان المؤلف الأندلسي بين صنعها وبين طبع الكتاب. ولما كان هذا الاستبطاء البديع الغريب لم يسبق له مثال بالأندلس رأى صاحب الإحاطة وجب التنبيه على فضل الكتاب فقال: غريب في معناه. فأين أين ذلك الكتاب الذي ألفه القدسي ووصفه لسان الدين ابن الخطيب بأنه غريب في معناه.

لاشك أنه ذهب طعنة للنار حيثما علت كلمة الإسبانين وطرّدوا المسلمين من تلك الديار فإنهم كانوا كنساً وقع لهم كتاب مكتوب بحروف عربية قالوا هذا قرآن وبادروا لطلب الغفران بإحراقه بالنيران وهذه الكتابة أحرقوا تسعة أعشار ونصف وثلاث وربع وخمس وسدس وسبع وثمان وتسع الكتب العربية فلم يدك يخلص إلينا منها واحد في الألف وكانوا يتهافون بارتياح وتقوى إلى ارتكاب هذه الجريمة الكبرى وهم يظنون أنهم يحسنون صنعة حتى أن أحد كرادلهم أحرق في يوم واحد بمدينة غرناطة نحو ألف ألف كتاب. وكان هذا الصنيع بعمل الإيمان.

جمهورية البرتغال.

من الانقلابات السياسية الحرة مناداة الأحرار في مملكة البرتغال بالجمهورية والقضاء على الملكية فأصبحت هذه الجمهورية ثاني جمهورية في أوروبا ومنذ سنين لم ينبع بجمهورية مهمة في ممالك الأرض إلا في برازيل فكانت هذه المملكة وكانت في القدم تحت حكم البرتغاليين بدأت بزغ الملكية فحبت أمها الأصلية أن لا تقصر عنها في المطالبة بالحرية.